التعبيرات السياسية والاحتجاجية
في خطاب مجموعات الالتراس في المغرب

د. يوسف دعي
باحث في العلوم السياسية، جامعة ابن زهر
د. اشرف كردلاس
باحث في العلوم السياسية، جامعة ابن زهر
المغرب

الملخص:

تسلط هذه الورقة الضوء على تحولات ظاهرة التشجيع الرياضي في المغرب، وتحديداً مجموعات "الألتراس"، باعتبارها فاعلاً اجتماعياً وسياسياً بارزاً، لاسيما في سياق ما بعد حراك 2011. تبحث الدراسة في كيفية تحول ملاعب كرة القدم من فضاءات للترفيه إلى "مساحات محررة" للاحتجاج السياسي والتعبير عن السخط الاجتماعي، في ظل تراجع دور مؤسسات التنشئة السياسية التقليدية.

باعتماد منهج التحليل النقدي للخطاب (نورمان فاركلوف)، تفكك الورقة مضامين أهازيج وشعارات الألتراس التي تمزج بين الرياضي والسياسي، معتبرة إياها شكلاً من أشكال "السياسة من الأسفل" والمقاومة الرمزية.

وقد خلصت الدراسة إلى دحض الفرضيات القائلة بعزوف الشباب عن السياسة، مؤكدة أنهم يشاركون بفعالية لكن عبر قنوات غير رسمية ومغايرة للمألوف. كما رصدت الورقة امتداد تأثير "ثقافة الألتراس" (من تنظيم وشعارات) لتطال حركات احتجاجية اجتماعية خارج الملاعب (مثل احتجاجات الأساتذة وحراك الجزائر)، مما يعكس تلاشي الحدود الفاصلة بين الرياضة والسياسة في المشهد المغربي الراهن.

الكلمات المفتاحية:

الألتراس، الحركات الاجتماعية، الاحتجاج السياسي، الشباب، المغرب، تسييس الرياضة.

Abstract

This study analyzes the politicization of the "Ultras" movement in Morocco, examining how football stadiums have evolved from recreational spaces into arenas for political protest and social dissent, particularly following the 2011 uprisings. The paper investigates the dynamics of youth identity and the shifting boundaries between sports and politics in North Africa.

Employing Norman Fairclough's Critical Discourse Analysis, the study explores how Ultras groups utilize stadium chants and slogans to articulate grievances regarding unemployment and social injustice. It frames these expressions as "politics from below," emerging as a response to the decline of traditional political institutions.

The findings challenge the narrative of youth political apathy, demonstrating that young people are actively engaged in "informal politics" through alternative spaces. Furthermore, the study highlights the significant influence of the Ultras' subculture—its rituals, slogans, and organizational tactics—on broader social movements in the region (e.g., teachers' protests in Morocco and the Hirak in Algeria). The paper concludes that the stadium has become a laboratory for new forms of activism, influencing the broader political landscape.

Keyword: Ultras, Social Movements, Political Protest, Youth, Morocco, Politicization of Sports.

تقديم:

تأثر المشهد الرياضي بشمال افريقيا لاسيما في المغرب ، منذ نهاية التسعينيات حسب الباحث Patrick Mignon، بالثقافة التشجيعية المنتشرة في كرة القدم الفرنسية. والتي أخذت جانبا من ثقافة كرة القدم المتوسطية، والتي يمكننا وصفها بإضفاء الطابع الإيطالي، (ليس فقط بالأسلوب فوق رقعة الملعب، بل بالطريقة التي عبّر بها المشجعون عن أنفسهم من خلال الشعارات/ اللباس والأغاني)[1]. أظهرت هذه الفضاءات جيلاً جديدا من الشباب بهوية جمعية موحدة، يرتبطون ببعضهم البعض عبر خصائص مشتركة، (سراويل جينز الزرقاء، أشكال معنية لتصفيف الشعر والموضة، خلق فضاءات جديدة للمؤانسة بعيدة عن رقابة السلطة، سواء كانت سلطة سياسية/ أخلاقية)[2].

على الجانب الأخر، إتسمت هذه المرحلة أيضا، بالإنفتاح السياسي النسبي خاصة في المغرب، الذي استفاد منه الفعل الناشطي، عبر سيرورة متجددة وعصرية للإحتجاج الإجتماعي[3]، للضغط على الدولة من أجل إحتلال الفضاء العمومي بشكل سلمي، إذ تفاعل المشهد الرياضي، بحركاته الشبابية في المدرجات، مع المشاكل الإجتماعية، من بطالة، وغياب العدالة الإجتماعية، ومن إقصاءهم من المشاركة الفعلية في الحياة السياسية الرسمية خصوصا بعد الحراك الاجتماعي لسنة 2011.

فكيف نفسر بروز الرسائل والتعبيرات السياسية في المدرجات الرياضية المغربية في السنوات الأخيرة؟. لقد شكّل هذا السؤال محور المناقشات الفكرية والأكاديمية، سيما في حقل العلوم الاجتماعية[4]، لقد برز انخراط هذه المجموعات في العمل الجماعي والسياسي المضاد، في سياق الاحتجاجات التي عرفتها بعض الدول، من خلال الاستحواذ على الأماكن العامة والساحات وتأطير المظاهرات. على سبيل المثال: ساحة التحرير (بالقاهرة)، وميدان (في كييف) أو تقسيم (في اسطنبول)، حيث استثمرت هذه المجموعات المهارات التقليدية للتشجيع (تنظيم التجمعات الجماهيرية، وإعداد لافتات والشعارات، استخدام الكتابة على الجدران أو السخرية من الخصم، والمواجهات العنيفة بين المجموعات الأخرى، أو في مواجهة القوات العمومية) في خدمة الحراك الاجتماعي والقضايا السياسية في تلك الدول[5].

في السياق المغربي، جاء انخراط المجموعات في الفعل الاحتجاجي في سياق التحول الذي طبع مرحلة ما بعد 2011، حيث تحولت ملاعب كرة القدم لمساحات متحررة للمشاركة والتعبير عن السخط، وذلك بالموازاة مع أفول مؤسسات التنشئة الاجتماعية الكلاسيكية وقنوات المشاركة السياسية، وتراجع الأنماط الكلاسيكية في الاحتجاج[6]، إذ كان خطاب هذه المجموعات الاحتجاجي في الملاعب تعبيراً على هذه التحولات.

أدت عملية تسييس وانخراط المشجعين في الحركات الاجتماعية، إلى ظهور أبحاث ومناقشات تجد قوتها في فكرة تلاشي الحدود بين الأبعاد الاجتماعية، سياسية كانت أو رياضية، مع تطور فكرة المساحات والأماكن المغايرة كما ناقشها ميشيل فوكو، المساحات الامنة بتعبير تشارز تيلي لبروز السياسة/ المقاومة. أو من خلال التأمل في فكرة السياسة من الأسفل، أو ما أطلق عليه أصف بيات باللاحركات الاجتماعية، Non Mouvement على عكس الأطروحات التي كانت سائدة حول اللاتسييس الرياضي مع الباحث الفرنسي جاك ديفرانس[7].

تنطلق هذه الورقة لفهم وتحليل إشكالية الارتباط بين مجموعات الالتراس والخطاب السياسي الاحتجاجي، من فرضية مركزية، وهي أن سياق ما بعد 2011، كان مساهما في إعادة انتشار وتوزيع السياسة على كل مستويات المجتمع، والتي لم تعد حكراً على فئة دون الأخرى، مما نتج عنه تلاشي الحدود بين ممارسة الحياة اليومية والسياسة. من ثم فإن التعبيرات ذات البعد السياسي في المدرجات هي نتاج لهذه التحولات.

ستسترشد الورقة، في تحليلها وتتبعها لخطاب هذه المجموعات، على منهج تحليل المضمون، على اعتبار أن اللغة وخطاب هذه المجموعات يعد ممارسة اجتماعية يحمل سمات سياسية وايديولوجية[8]، وهو ما يدعونا لدراستها من مقترب التحليل النقدي للخطاب للباحث لنورمان فاركلوف[9]، وهي مقاربة تجمع بين الخطاب وعلاقات السلطة داخل المجتمع. إذ سيساعدنا التحليل النقدي للخطاب من منظور فاركلوف،

على دراسة خطاب مجموعات الألتراس (الأهازيج والأغاني..) كخطاب مضمونه: المشكلات والقضايا السياسية وعلاقته بعلاقات السلطة والهيمنة داخل المجتمع، من خلال الوصف والتأويل، ثم تفسيره في سياقه الاجتماعي والسياسي.

سنحاول الإجابة عن إشكالية الورقة وتجريب فرضيتها، من خلال أربع محاور أساسية:

- السياق التاريخي لظاهرة التشجيع: من التورسيدا إلى الألتراس..
- البنية الثقافية والتنظيمية لحركات الألتراس.
- المدرجات كمختبر للاحتجاج: تحولات دور الألتراس في المغرب
- الاحتجاج من المدرج: قراءة في بنية خطاب الألتراس.

1. تاريخ مجموعات التشجيع: من التورسيدا إلى الألتراس..

إن بروز مجموعات التشجيع داخل مجال كرة القدم، مرتبط بشكل أساسي بالتحولات الاجتماعية والسياسية داخل المجتمعات. فإن كانت هذه المجموعات على اختلاف أصنافها وسياقات بروزها، مرتبطة بشكل وثيق بأنديتها ومدنها، حيث يصل هذا الارتباط إلى درجة الولاء المطلق، والتضحية في مواجهة المنافسين، غير أن هذا لا ينفي أن تكون هذه الظاهرة تعبير عن تحولات البنية الثقافة والاجتماعية، سيما وأنها – أي مجموعات المشجعين– تُقدم مساحة متحررة للشباب ترمز إلى القطيعة أو تحد للسلطة (أخلاقية، أبوية، سياسية)، من خلال إنتاج خطابات مقاومة لما هو سائد[10].

لغويًا، تعود كلمة "ألتراس" (ultrás) إلى الأصل اللاتيني، وتُستخدم للدلالة على ما هو فائق أو مفرط. وقد استُعمل هذا المصطلح للإشارة إلى أشكال المناصرة المتطرفة، سواء في السياقات السياسية أو الاجتماعية. ووفقًا لمعجم لاروس الفرنسي (Larousse)، يُطلق وصف "ultrás" على الشخص الذي يدفع بآرائه إلى حدّ الإفراط والتشدد[11].

أما تاريخيًا، فقد ظهر الاستخدام الأول لمفهوم "ألتراس" في الأدبيات السياسية الفرنسية خلال القرن التاسع عشر، وتحديدًا في سياق ما يُعرف بفترة الاسترداد (La Restauration) ما بين سنتي 1815م/1230هـ و1830م. وتميّزت هذه المرحلة بعودة الحكم الملكي عبر تحالف ضمّ ملاك الأراضي، ورجال الدين، والمناهضين لفلسفة حقوق الإنسان والحريات، الذين تمكنوا من استعادة العرش الملكي بالقوة عقب سقوط حكم نابليون. وقد أُطلق على هذه القوى آنذاك مصطلح "الملكيون المتطرفون" (L'ultraroyalisme)، كما استُخدم أيضًا مصطلح "الألتراسيزم" (ultracisme) لوصف توجهاتهم. ومع بداية ستينيات القرن العشرين، سيُعاد توظيف هذا المفهوم في مجال مختلف، حيث بات يُستخدم لوصف بعض مجموعات التشجيع الراديكالية لفرق كرة القدم، خاصة في إيطاليا[12].

إن أسلوب التشجيع الراديكالي في الملاعب لا يرتبط حصريًا بحركات الألتراس، فقد ظهرت أولى أشكال هذا النمط من التشجيع في صيغة مغايرة مع حركة تورسيدا (Torcida) في البرازيل خلال أربعينيات القرن العشرين. وتُعد "تورسيدا" كلمة برتغالية مشتقة من الفعل Torcer ، الذي يعني التمسّك أو الالتفاف، ثم تطوّر مدلولها ليحيل إلى فعل "التجذير"، بمعنى الارتباط العميق، كما تتجذر جذور الأشجار في الأرض. وقد استُخدمت الكلمة بهذا المعنى للتعبير عن مدى انخراط الجماهير في دعم فرقها من المدرجات.

ويُعزى تأسيس أولى مجموعات التورسيدا إلى مشجعي فريق ساو باولو(São Paulo) ، وتحديدًا مجموعةSão-paulino ، وإن كان ذلك في البداية على نحو غير رسمي. وشكّل تنظيم كأس العالم بالبرازيل سنة 1950 محطة مفصلية أتاحت لهذا الشكل من التشجيع أن

يكتسب حضورًا عالميًا، قبل أن ينتقل إلى أوروبا، وتحديدًا إلى يوغوسلافيا في العام نفسه، ثم إلى كرواتيا مع تأسيس جماهير فريق هايدوك سبليت (Hajduk Split) لأول مجموعة رسمية من هذا النوع[13].

أما النمط الآخر من التشجيع الراديكالي، فقد تجسّد في بريطانيا من خلال ظاهرة الهوليغانز(Hooligans) ، وهي مجموعات متطرفة عُرفت بميولها العنيفة، وبدأت تتبلور بشكل منظم عقب الحرب العالمية الثانية. ويُرجَّح أن تعود جذور هذا المصطلح إلى القرن الثامن عشر، حيث أُطلق على عصابات اشتهرت بسلوكها العدواني واحتكاكها المستمر بقوات الأمن في شوارع لندن. وقد ارتبطت هذه المجموعات لاحقًا بفرق كرة القدم المحلية، بحيث بات لكل فريق "عصابته" الخاصة، التي تمثله وتدافع عنه ضد جماهير الفرق الأخرى، مما حوّل فضاء التشجيع إلى مجال مفتوح للمواجهات العنيفة، بما في ذلك استخدام مختلف أنواع الأسلحة.[14]

أما حركات الألتراس(Ultras) ، فقد ظهرت لأول مرة في إيطاليا خلال ستينيات القرن العشرين، مع تأسيس أول مجموعة تحت اسم "لافوسا دي ليوني(La Fossa dei Leoni) "، أي "عرين الأسد"، في مدينة ميلانو. وتميزت هذه الحركات باتخاذها الزوايا المنحنية من المدرجات (Curva) موقعًا استراتيجيًا لنشاطها، وهي المناطق الأقل تكلفة والتي عادة ما تكون الأقل استقطابًا للجماهير. وقد استخدمتها هذه المجموعات لإثبات حضورها ودعم فرقها عبر أساليب تعبيرية وإبداعية مستوحاة من نمط التشجيع الخاص بحركة تورسيدا (Torcidas) البرازيلية، من خلال تنظيم عروض مرئية وتحويل المدرجات إلى فضاءات احتفالية حماسية تتجاوز حدود اللعبة.

ومن بين أبرز مجموعات الألتراس في إيطاليا، نذكر مجموعة "ذا بويز (The Boys) "المساندة لنادي آس روما(AS Roma) ، التي تأسست سنة 1972م، ومجموعة "إيرّيدوتشيبيلي(Irriducibili) "، المناصِرة لنادي لاتسيو روما (Lazio Roma) منذ سنة 1987م / 1408هـ، والتي عُرفت بمواقفها الراديكالية، وبتوجهها المعارض للدولة الإيطالية[15]. تُعد حركات الألتراس أكثر المجموعات التشجيعية حضوراً وتنظيما في مشهد التأييد في المجتمعات المعاصرة اليوم، على الرغم من حداثتها مقارنة مع باقي الأصناف التشجيعية الأخرى، فقدرتها التنظيمية وثقافتها المتفردة في اختيار الملابس والطقوس والاحتفالات في المدرجات وخارجها كان مساهما في استقطاب الأفراد لا سيما الشباب بشكل يفوق عادة باقي التنظيمات السياسية والمجتمعية الأخرى، فما يوحد هذه الحركات هو الشعور الشديد بالولاء والإحساس بالارتباط بالنادي، وزملائهم المؤيدين إلى درجة التضحية، والدفاع ومقاومة الخصوم كلهم[16].

انتشرت هذه الحركات الإيطالية منذ التسعينات من القرن الماضي في جنوب أوروبا، ثم ستنتقل إلى بعض الدول العربية نهاية التسعينيات، إذ وصف عالم الاجتماع الفرنسي باتريك مينون Patrick Mignon هذا الانتشار، بإضفاء الطابع الإيطالي على التشجيع، بالطريقة التي عبر بها المشجعون عن أنفسهم من خلال الشعارات، اللباس والأهازيج[17].

وهكذا، ظهرت حركات الألتراس في الدول العربية، بداية مع مجموعة (African Winners) الأفريكان وينرز – الأفارقة المنتصرين– المناصرة لنادي الأفريقي التونسي سنة 1995 م ، قبل أن تنتقل إلى باقي الأندية التونسية، ثم فيما بعد إلى المغرب منذ سنة 2003 مع ألتراس طنجة المناصرة لفريق اتحاد طنجة، غير أن التجربة لم تدم طويلاً، وبدأ النقاش حول الحركية في المغرب سنة 2005 وإن على نحو افتراضي في بعض المنتديات الرقمية المعروفة كمنتدى كورة، منتدى بلوغما (Blogoma) ، قبل أن يتجسد في أرض الواقع في السنة نفسها مع كل من ألتراس عسكري(Ultras Askari) المشجعة لفريق الجيش الملكي، وغرين بويز(Green boys) المشجعة لفريق الرجاء الرياضي المغربي.

2. البنية التنظيمية والثقافية لحركات الألتراس

إن الطبيعة الأفقية للبنية التنظيمية لحركات الألتراس أسهمت في خلق فضاء فكري ومعيشي محرَّر، يُشجّع على التعبير والانخراط الجماعي، مما جعل هذه الحركات أكثر قدرة على الاستقطاب، وبناء قاعدة جماهيرية واسعة، مقارنةً بعدد من التنظيمات الاجتماعية والسياسية الكلاسيكية[18].

ورغم أن هذه الحركات تأثرت — وإن بدرجات متفاوتة — بالسياقات الثقافية والاجتماعية الخاصة بكل بلد، فإن تنظيمها الداخلي ومبادئها العامة تكاد تتسم بطابع موحَّد وعابر للحدود، ما يمنحها طابعًا عالميًا في أنماط اشتغالها وخطابها.

وتشمل البنية التنظيمية لهذه الحركات العديد من البنيات وهي:

أ- الخلايا (Les cellules) :

تشكل الخلايا وحدات ميدانية نشطة داخل الأحياء، وتُعد آلية أساسية تضمن لحركات الألتراس حضورًا دائمًا في مختلف مناطق المدينة وخارجها. وتكمن وظيفتها في استقطاب أعضاء جدد، وتأطيرهم وفقًا لروح الألتراس، وأسلوبها ومبادئها. كما تتولى تنظيم أشكال الحضور داخل المجال الحضري، مثل الكتابة والرسم الجداري(graffiti) ، الإعداد القبلي للمباريات، جمع التبرعات، وتنظيم التنقلات إلى المدن الأخرى لمساندة الفريق خلال المباريات خارج الميدان.

وتُناط مسؤولية تنسيق عمل هذه الخلايا بشخص يتم اختياره من طرف "النواة الصلبة"، ويُعد همزة وصل بينها وبين الهيكلة المركزية. وتكمن أهمية الخلايا في ضمان التنسيق والتنظيم المحكم، وهو ما يتجلى في الانضباط أثناء التنقلات، وفي وحدة الشعارات والأهازيج المرفوعة خلال المباريات، بما يتماشى مع ما تم الاتفاق عليه مسبقًا.

ب- النواة الصلبة (Les noyaux durs) :

تشكل النواة الصلبة البنية التنظيمية الأساسية ومحور حركة الألتراس، وتُعد بمثابة السلطة التنفيذية داخل التنظيم. تتولى مهمة وضع الخطط والتصورات العامة للمجموعة، وتتمتع بصلاحية تعيين قائد التشجيع (Capo) الكابو أو عزله، إضافة إلى تعيين المسؤولين عن مختلف اللجان والخلايا[19].

وتتكوَّن هذه البنية من الأعضاء المؤسسين، ومن العناصر البارزة داخل المجموعة، ويتم ضمّ أي عضو أثبت تفانيه في خدمة الحركة إلى هذه الدائرة المغلقة. وتُناط بها أيضًا مهمة إعداد الوسائل الاحتفالية، واختيار الشعارات والرسائل التي ستُرفع في المدرجات خلال المباريات.

ويتميّز أعضاء النواة الصلبة بإيمانهم المطلق بفكر المجموعة، وتقديسهم لمبادئها، إذ يكرّسون جُلّ وقتهم وجهدهم لخدمة التنظيم وضمان استمراريته.

ت- الكابو (Capo):

الكابو (Capo) "كلمة إيطالية تشير في أصلها إلى الزعيم داخل التنظيمات الإجرامية[20]، وقد استُعيرت في سياق التشجيع الرياضي للدلالة على قائد المدرجات. لا يُنتخب الكابو، بل يُختار من قبل النواة الصلبة بناءً على معايير دقيقة، أهمها الكاريزما، والقدرة على قيادة الجماهير داخل المدرجات، وكسب احترامهم. ويتولى الكابو مهمة توجيه الأنشطة الاحتفالية خلال المباراة، من خلال أداء دور القائد طيلة زمن المواجهة، مع الالتزام بالشعارات والأهازيج التي تقرّرها النواة الصلبة خلال اجتماعاتها الدورية. ويُعد الكابو عنصرًا محوريًا في الحفاظ على الانضباط والإيقاع الجماعي داخل فضاء التشجيع[21].

إن كابو Capo عبارة إيطالية تُشير إلى الفرد القوي أو زعيم داخل التنظيمات الاجرامية[22]، واستخدمت في حقل التشجيع وكرة القدم للإشارة إلى قائد التشجيع في المدرجات، وهو شخص لا يتم انتخابه بل يتم اختياره من طرف أعضاء النواة الصلبة وفق ميزات تؤهله على الحصول على هذه المهمة، منها الكاريزما والقدرة على قيادة المشجعين في المدرج وكسب احترامهم[23]، ثم السهر على توجيه وتنظيم الأنشطة الاحتفالية للمجموعة داخل الملعب، من خلال تقمص دور القائد في فترة محدودة في زمن المباراة، مع التقيد بالشعارات والأهازيج التي اتفق عليها أعضاء النواة الصلبة في الاجتماعات التي يعقدونها.

تتميز حركة الألتراس بأسلوب ومبادئ تميزها عن باقي التنظيمات الاجتماعية الأخرى وهي:

أولا : الولاء والتشجيع:

يربط أعضاء حركات الألتراس أداء فرقهم بجودة الدعم في المدرجات، حيث يُعبّرون عن ولائهم عبر الأهازيج، الشعارات، والألوان المرتبطة بنواديهم، في تجلٍّ واضح لانتمائهم لمناطقهم الأصلية وأراضيهم.[24].

وتستخدم هذه المجموعات عدة وسائل في عملية التشجيع من أهمها:

أ- التيفو Tifou/: كلمة إيطالية مشتقة من الفعل (tifare) وتعني الحماس أو التعصب، وله جذور في كلمة (typhus) اليونانية التي كانت تدل على الحمى أو الهذيان[25]، وهو ما يعكس الطابع الحماسي المفرط للمشجعين ويُستخدم المصطلح للإشارة إلى اللوحات البصرية الضخمة التي تُعرض قبيل انطلاق المباريات، وغالبًا ما تُرفَق بالأغاني والهتافات، لتعبّر عن مواقف قد تتجاوز المجال الرياضي إلى قضايا سياسية واجتماعية.

ب- الباش (Bache) : لافتة ضخمة يصل طولها أحيانًا إلى عشرة أمتار، تتضمن اسم المجموعة وشعارها، وتُعد رمزًا لهويتها ووجودها في المدرجات. تحظى هذه اللافتة بمكانة شبه مقدّسة، وقد يؤدي فقدانها أو سرقتها من طرف مجموعة منافسة (وخاصة إذا رُفعت مقلوبة) إلى حل المجموعة وإنهاء وجودها[26]. عادة ما يُسند حملها لأعضاء يُعرفون بالولاء والانضباط، حيث يتمّ الحفاظ عليها بسرّية تامة.

ت- الكراكاج (Craquage) : عرض احتفالي يتمثل في إطلاق الشماريخ والألعاب النارية بين الدقيقة 70 و80 من المباراة، كوسيلة لاستعراض القوة والسيطرة على المدرج، في سياق المواجهة مع الجمهور المنافس.

ث- المنتوج (Produit) : وهو مجموعة من المنتجات الخاصة بالحركة (كالأقمصة، الشارات، والقبعات)، تُباع للأعضاء بغرض تمويل الأنشطة بشكل ذاتي. يُعد اقتناء هذه المنتجات وارتداؤها في يوم المباراة شرطًا من شروط الانتماء للمجموعة.

ج- الكورطيج (cortége) موكب جماعي على الأقدام تنظمه المجموعة في مدن الخصوم، وغالبًا ما يبدأ من محطة القطار أو الحافلات وصولًا إلى الملعب. يُعد هذا الفعل إهانة متعمّدة للمجموعة المستضيفة، ما يستدعي ردًا مماثلًا في المقابلة القادمة.

ثانيا :الاستقلالية.

تُعتبر الاستقلالية من المبادئ الجوهرية لحركات الألتراس، فهي مجموعات لا تخضع لأي وصاية، لا من إدارة الأندية ولا من السلطات السياسية. تقوم بتمويل أنشطتها ذاتيًا من خلال مساهمات الأعضاء ومبيعات المنتوجات، وترفض أي توظيف سياسي أو تجاري لكرة القدم. وقد اختارت هذه المجموعات شعارًا يؤكد هذا التوجه: Solo contro tutti (بمفردنا في مواجهة الجميع).

ثالثا: نكران الذات.

يتمسك أعضاء الألتراس بمبدأ إلغاء الفردانية، حيث يُمنع الأفراد من الظهور الإعلامي باسم المجموعة، تفاديًا لبروز الزعامات أو استغلال التنظيم لأهداف شخصية. وغالبًا ما يُغطّي الأعضاء وجوههم بـ"كاغول" (Cagoule) عند تواجد وسائل الإعلام. يُشجّع التنظيم على العمل في الظل وتذويب الفوارق الاجتماعية بين أفراده.

- رابعا: العداء تجاه رجال الشرطة: عبارة AC- AB

يرفع الأعضاء شعار ACAB، اختصارًا لعبارة All Cops Are Bastards (كل رجال الشرطة أوغاد). نشأ هذا الشعار في عشرينيات القرن الماضي في بريطانيا[27]، وارتبط لاحقًا بالعصابات والحركات اللاسلطوية، قبل أن تتبناه مجموعات الألتراس حول العالم، كرمز للرفض السلطوي.

إذا كان البعد الفرجوي، وطقوس التشجيع، والتي تعكسها ثقافة بنية هذه المجموعات، وإن في ظاهرها تعكس تشبث المشجعين بأنديتهم، فإن التعمق وتحليل هذه التعبيرات والتدقيق فيها قد يُفضي بنا إلى الوقوف عند أبعاد أخرى من الارتباط وتشكيل هويات المشجعين، تتجاوز الفرق والأندية إلى قضايا أخرى، كالثقافة، السياسة، والمجتمع، وهو ما يدعونا إلى دراسة هذه المجموعات في السياق الأوسع للانخراط في العمل الجماعي المضاد، لا سيما مع حراك 2011 في المنطقة العربية ومنها المغرب.

3. المدرجات كمختبر للاحتجاج: تحولات دور الألتراس في المغرب

تميز الحراك الاجتماعي في بداية عام 2011 بانخراط مشجعي كرة القدم في العديد من بلدان العالم في العمل الناشطي (Activism)، والدفاع عن المصالح المشتركة التي تتجاوز المجال الرياضي. وظهرت هذه الفئة كجماعة وكثقافة خاصة في الفضاءات العامة، من خلال احتلال أماكن رمزية، مثل ميدان التحرير بالقاهرة في مصر، وميدان الاستقلال في كييف بأوكرانيا، وميدان تقسيم في إسطنبول، إلى جانب رفع الشعارات المناهضة في المدرجات في حالة المغرب. وقد ساهم انخراط مجموعات الألتراس في النقاش السياسي والمجتمعي في تحويل الملاعب الرياضية إلى منصات للتعبئة والتعبير، وإنتاج خطاب احتجاجي.

انتشر الخطاب الاحتجاجي لمجموعات الألتراس في المغرب خلال السنوات الأخيرة. وقد أسهمت طبيعة هذه التنظيمات الفريدة، بما تتميز به من قابلية للاستقطاب والتعبئة، في إنتاج مجال جديد للظهور، يجمع بين الترفيه والرغبة في التعبير عن المظالم، وإعادة صياغة منطق جديد للتمثيل السياسي والمدني، في ظل أزمة المؤسسات والحركات التقليدية [28].

ويمكن دراسة تقاطعات حركات الالتراس مع حقل الاحتجاج في المغرب، من خلال ثلاثة محطات أساسية، تم اختيارها بناء على حدة وفتور الخطاب ذو السمات الاحتجاجية ومواضيعه في كل محطة معينة.

بدأت المحطة الأولى مع بدايات ظهور مجموعات الألتراس في المغرب منذ مطلع الألفية الجديدة، حيث ارتبط خطابها السياسي والاحتجاجي بالتفاعل مع قضايا إقليمية ودولية، وعلى رأسها القضية الفلسطينية. ويرجّح أحد الباحثين أن أول "تيفو" سياسي لهذه المجموعات كان من طرف ألتراس "لوس ماتادوريس" المساندة لنادي المغرب التطواني، وذلك خلال مباراة ضد نادي أولمبيك خريبكة عام 2008. وقد تضمّن هذا "التيفو" علم فلسطين، وعبارة للفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر باللغة الإسبانية: El hombre está condenado a ser libre، وتعني: "الإنسان محكوم عليه بأن يكون حرًا"[29].

في السياق ذاته، ستظهر شعارات مماثلة، كما هو الشأن بالنسبة لألتراس "إيمازيغن" المساندة لفريق حسنية أكادير، التي رفعت سنة 2009 لافتة كبيرة تحمل عبارة: 5minutes de silence pour les peuples affaiblis par le monde ، وتعني: "خمس دقائق من الصمت للشعوب التي أضعفها العالم". كما رفعت المجموعة نفسها "تيفو" يتضمّن رسائل سياسية مرتبطة بالمسألة الأمازيغية في المغرب،

خاصة في ظل النقاش حول دسترة اللغة الأمازيغية، وتمثل هذا "التيفو" في العلم الأمازيغي، وحرف الضاد رمز الهوية العربية، إلى جانب العلم المغربي، مرفوقًا بعبارةAmazigh et Arabes unis pour un pays plus démocratique :، أي: "أمازيغ وعرب متحدون من أجل وطن أكثر ديمقراطية"[30].

تميّزت هذه الفترة باستقلال مجموعات الألتراس عن التجاذبات السياسية في المغرب، لا سيما وأنها ظهرت خلال السنوات الأولى من حكم الملك محمد السادس، وهي مرحلة اتسمت بانفتاح نسبي، خصوصًا مع بروز مساحات ثقافية وفنية أكثر تحررًا للتعبير والمشاركة. وقد ساهم هذا السياق في عدم انخراط هذه المجموعات في الحراك السياسي والاجتماعي لسنة 2011، بخلاف بعض التجارب الأخرى، التي برزت فيها مجموعات الألتراس كفاعلين أساسيين في الحراك والثورات[31]، كما هو الحال في التجربتين المصرية والتركية، وبشكل أخف في التجربة التونسية.

في المقابل، استفادت السلطة من هذه المجموعات لتكريس صورة الاستثناء المغربي، وإبراز تشبث المغاربة بالملكية[32]. **فقبيل الإعلان عن حركة 20 فبراير الاحتجاجية، أصدرت جماهير نادي الرجاء الرياضي أغنية بعنوان: "ملكنا واحد محمد السادس"، كما رفعت مجموعة**"Winners05" ، **المساندة لفريق الوداد الرياضي، رسالة تقول: "اشتقنا لرؤيتك في النهائي يا صاحب الجلالة.** *" لا خوف على عرش بقلب شعبه يتسلح."*

عرف خطاب مجموعات الألتراس في المغرب تحوّلًا ملحوظًا نحو الطابع الاحتجاجي، عقب قرار وزارة الداخلية منع أنشطة هذه المجموعات سنة 2016، وذلك إثر أحداث الشغب التي أعقبت المباراة التي جمعت نادي الرجاء الرياضي بشباب الريف الحسيمي في أبريل من العام ذاته. وقد كان لهذا القرار أثر بالغ في إعادة تشكيل خطاب الألتراس، لاسيما خلال المرحلة الفاصلة بين المنع والعودة إلى الملاعب سنة 2018، حيث برز خطاب احتجاجي ممانع، يختلف في نبرته ومضامينه عمّا سبقه.

فقد واجهت مجموعات الألتراس قرار المنع بالمقاومة والتنديد، سواء عبر وسائط التواصل الاجتماعي أو من خلال الكتابة على الجدران، إذ انتشرت عبارة" **الألتراس لن تُحل** "في مختلف مدن المغرب. وفي خطوة غير مسبوقة، سعت هذه التنظيمات إلى توحيد صفوفها لمواجهة سياسة المنع، فعقدت سلسلة اجتماعات انتهت بإصدار بلاغ موحد أعلنت فيه عن تأسيس "اتحاد الألتراس المغربي" يوم 27 ماي 2016، بمشاركة أبرز المجموعات النشطة في البلاد[33].

وحسب ما ورد في البلاغ التأسيسي، فإن الهدف من هذا الاتحاد يتمثل في "توحيد الجهود لإسقاط قرار المنع والدفاع عن حقوق مشجعي كرة القدم بوجه عام، ومجموعات الألتراس على وجه الخصوص". وقد عبّرت أشكال الاحتجاج خلال هذه الفترة عن ثقافة راسخة في أوساط هذه المجموعات، تقوم على التشبث بالهوية الجماعية والدفاع عنها، سواء في مواجهة الخصوم من المجموعات الأخرى (في الظروف العادية)، أو في مواجهة السلطة/الدولة ممثلة في مؤسسات القانون وأجهزته[34].

لقد شكّلت الفترة الفاصلة بين قرار المنع وعودة مجموعات الألتراس إلى المدرجات سنة 2018، مرحلة فارقة في تطوّر خطاب هذه المجموعات، حيث عرفت إنتاج عدد من الأهازيج والأناشيد التي اتّسمت بنبرة احتجاجية متعالية، تجاوزت في مضامينها حدود كرة القدم، لتلامس قضايا سياسية واجتماعية أوسع. ومن أبرز هذه التعبيرات، أغنية "في بلادي ظلموني" لمجموعة Ultras Eagles، التي تحوّلت إلى نشيد احتجاجي ذائع الصيت، ثم أغنية "Système Pourri" لمجموعة حلالة بويز، وأغنية "صوت الشعب" لألتراس وينرز، إلى جانب أغانٍ أخرى عكست تحوّل مدرجات الملاعب إلى فضاءات للتفريغ الرمزي والاحتجاج الجماعي ضد الأوضاع القائمة.

سنخصص القسم الأخير من هذه الورقة لتحليل بنية هذا الخطاب، وتفسيره بناء على مقترب التحليل النقدي للخطاب لنورمان فاركلوف، وهي مقاربة تربط بين الخطاب وعلاقات السلطة داخل المجتمع.

4. الاحتجاج من المدرج: قراءة في بنية خطاب الألتراس

سيساعدنا تحليل الخطاب النقدي للباحث فاركلوف، لدراسة خطاب مجموعات الألتراس (الأهازيج والأغاني..) كخطاب يركز على المشكلات والقضايا السياسية وعلاقته بعلاقات السلطة والهيمنة داخل المجتمع، من خلال الوصف والتأويل ثم تفسيره في سياقه الاجتماعي والسياسي.

اختارت الورقة ثلاث مقطوعات لثلاث مجموعات تشجيعية في المغرب، الأولى حلالة بويز (Halala Boys) المناصرة للنادي القنيطري المعروفة بأهازيجها ذات الحمولة السياسية، ثم المجموعتين التراس إيغلز (Ultras Eagles) المشجعة لنادي الرجاء الرياضي بأغنيتها في بلادي ظلموني وهي الأغنية التي اعتبرها العديد من المراقبين شعاراً للشعوب العربية، ثم أغنية صوت الشعب المقموع لالتراس وينرز (Ultras winners) المناصر لنادي الوداد الرياضي. (كما يظهر في الجدول أسفله).

الجدول رقم 1: الأهازيج والأغاني المنتقاة وموضوعاتها الرئيسية.

الأهازيج	الالتراس والنادي	الموضوعات الرئيسية.
في بلادي ظلموني	Ultras Eagles الرجاء الرياضي	فقدان الثقة في المؤسسات/ الفساد القمع / السلطوية الحرية خطاب التحدي والمقاومة عدم فهم ثقافة الالتراس من الدولة
سيستيم بوري	Ultras halala boys جماهير النادي القنيطري	
صوت الشعب المقموع	Ultras winners 05 الوداد الرياضي	

المصدر: تركيب وإعداد شخصي للباحث.

استخلصت الورقة خمس مواضيع أساسية، وفق تعداد الكلمات المستخدمة في هذه الأهازيج المختارة. كما أن طبيعة الخطاب المستخدم في هذه الأهازيج وهو المعبر عنه باللغة العامية المغربية، يفقد جزءا من دلالاتها حين يتم نقلها إلى لغة أخرى قصد التفسير، لاسيما وأن مجموعات الالتراس تستخدم اسلوباً استعاري قد يفهم على مستويين:

- أولا: الكلمات المستخدمة وسياقها الثقافي المحلي الخاص.
- ثانيا على مستوى السياق الاجتماعي والسياسي لحظة انتاج الخطاب.

لتفسير المستوى الأول، يمكن أخذ مقطع من أغنية في بلادي ظلموني *"صْرفوا علينا حْشيش كْتامة خلاونا كي اليتامى... نْتحاسبوا في القيامة"* وهي تصور واقع الشباب المغربي المأزوم بين آفة المخدرات وهي المعبر عنها بحشيش كتامة، وهي منطقة معروفة في السياق المحلي بزراعة القنب الهندي في شمال المغرب، وتحميل المسؤولية للسلطات في المغرب، وسياستهم الممنهجة لتخدير الشباب وهي المعبر عنها بعبارة *"صْرفو علينا"*. كما يمكن أخذ المقطع الثاني من نفس الأغنية لتفسير المستوى الثاني، " زِيروا خافْ اللِي حْتارعتوا...وعلينا طْبْقْتو ... أوبيه بْغيتو تْحكْمو" زيرو خاف" يقصد به هنا قانون 09.09 المتعلق بالعنف المرتكب أثناء المباريات أو التظاهرات الرياضي، الذي طبقته السلطات بعد

فترة المنع التي طالت مجموعات الألتراس سنة 2016، إذ اعتبرت ممارسات هذه المجموعات غير قانونية ومرتبطة بالشغب، من ثمة فإن هذا المقطع لايمكن فهمه خارج هذا السياق السياسي والاجتماعي الخاص.

الجدول رقم 2: الموضوعات الرئيسية للأهازيج المنتقاة

الموضوع	الكلمات المعبر عنها داخل متن الأغاني المنتقاة	التكرار
الحُكرة/ الإذلال، المظلومية	هادْ بلاد عايشين فغْمامة، جِينراسيون (جيل) قْمعتوها، قْتلوا لاباسيون (الشغف)، بالسياسة كالميتونا (تحذير)، شْوفتونا الميزيريا (نعيش في ظل سياستكم الفقر)، الحكومة حكّارا. (مسبدة)...فاقْدة السيطرة، فالطغيان فتّو (تجاوزتم) الحدود، في بلادي ظَموني، نْتحاسبوا في القيامة، ونرْضاو بالوضعية، بكيتو والديا، واقعِنا المأْزوم، عيشة مَنْكوبة، أرض غْبينة، ضحية، ولادهم قراوهم، شعوب طَمْصوها، في بلاد الشفرة وتبزيز (السرقة والفساد)، فبلادي حقي ضاغ،	20
فقدان الثقة في المؤسسات / السلطوية	فْلوس بْلاَدْ كْليتُوها، سياسة جوّع وخْلَع. غير تْدويرة أو قْهيوة (الرشوة)، زْعْزَع لْبلاَدْ، بْأَلوا(Alo) (المسحوبية)...كُلشي ديالو، حْنا عْرفناك داوي خاوي (نعرفك لا تفقه شيئا) ، المسؤولين في خبر كان، فضحت المستور، شُوهة المونديال (كأس العالم)، صْرْفُو مليار وحْصْدو العار، *أوزين (الوزير)* إرحل، ربي أنتقم من كل شْفار، سِيسْتِيم بُوري وفيه فيسْ، فبلادنا القانون راه حْكار....أوبْهاد العُنصرية، لا قانون يْحميك لا حق مضمون، الروح فقدت الهمة والشان، فاشستيfascistic (فاشي)، حقيقة ACAB ، المسؤول أكبر إبليس، المال العام تْبروفتي، لي هضر غايتقمع	30
الحرية	يالحكومة بْغينا لِيبرتي، لحرية لبغينا، الحرية نفاجي بها قلبي، الحرية، بشهور الحبس جازيتو، ليبيرطا بابها مسدورد ، فالفيراج راه خنقونا، بغاونا نكونوا إسكلاف esclave ، بالمينوط لي فإديا	9
خطاب التحدي والمقاومة	قوة شَعبية، سَقْسي علينا...غايكلو ليك، نكولوا ليكوم...هادي مسرحية، صوت الشعب لي مقموع، جاي نكلاشي الحكومة، جامي نزل إيديا، فالعقلية هوليكانز، جيبو البوليس ...بسلاحك ماتخوفنا، أومانلاشيش حالفين نبقاو غير حنا، زيدوا البوليس، منسمحوش فالقضية ، صوت الناس لي مهمومة ، متخوفنا لا قيود لا سجون، حلّ شوف، دِيرْ زوم، بزاف عليك بولييك،	21
عدم فهم ثقافة الالتراس من الدولة	حيت مافهمتو ال باسيون، يا حبابي غير فهموني، يا فهم مزيان لمونطاليتي، على فلاما حكمتوا بالويكلو ، بديتوا بروفوكاسيون، بالشغب شحال تهمتو، تعليمات كبيرة من عباقرة....يالي عقليتهوم مسجونة، صحافة	16

	لكاتبة .. ..لحقيقة قريبة...أوكتبتوا ، علينا شال كلام، حديدان، كالوا دار، لبستوني قضية، عصابة إجرامية...فالمحضر كتبوا ليا، الصحافة تغرق ليا	

مصدر الجدول: يوسف دعي، الرياضة والسياسة، مرجع سابق، ص286، (بتصرف)

تظهر الكلمات المستخدمة في هذه الأهازيج تنوعًا لغويًا يعكس ثقافة هذه المجموعات، إذ تعتمد الخطاب العامي المتداول في السياق المحلي للتعبير عن التجارب المعاشة داخل المجموعة تارة، وعن مشاعر وتجارب فئة الشباب والمجتمع المغربي عامة تارة أخرى .وهي محاولة لربط المجموعة وثقافتها بجذورها الاجتماعية، بل للتحدث باسم المجتمع نفسه، كما تُعبر عن ذلك بعض العبارات مثل" :صوت الشعب المقموع"، و"صوت الناس اللي مهمومة ."ومن زاوية أخرى، فإن اختيار المفردات والمواضيع المركزية في هذه الأهازيج يُحيل على سياق إنتاجها، والذي اتسم بتوتر سياسي واجتماعي بعد أحداث حراك الريف، كما شكّلت هذه الأهازيج في جوهرها ردًا احتجاجيًا على قرار المنع، واستراتيجية لتحدي السلطة، حيث تُصور السياسة كفضاء للخداع والإلهاء، وتنتقي مفردات ذات حمولة أيديولوجية ومواقف ناقدة للسلطوية والفساد، تعبّر عن الإحساس بالمظلومية .وهي بذلك تُجسد ما يُعرف في الأدبيات بـ"القيم الخبراتية "المشتركة لدى فئة الشباب ومجموعات الألتراس35، حيث يُعاد تعريف السياسة في المخيال الجمعي بوصفها مرادفًا للسلطة، ويُدمج خطاب الظلم و"الحكرة "بمنطق المقاومة والتحدي.

يعكس خطاب الألتراس، في هذا السياق، ما يسميه نورمان فيركلاف تجليًا للصراع حول اللغة[36]، إذ تعتمد هذه الأهازيج المختارة، مفردات خاصة لمواجهة خطاب السلطة، والذي عبرت عنه الدولة قانونيًا في قانون 09.09 المتعلق بالشغب الرياضي، وإذا كانت السلطة، وفقًا لبورديو، تسعى عبر خطابها إلى فرض المشروعية عبر إخفاء التعسف[37]، فإن عمليات التبادل الرمزي داخل اللغة ترتكز على علاقات قوة وهيمنة، وبهذا المعنى، فإن هيمنة الخطاب الرسمي تتيح إمكانية احتواء الأنماط الخاضعة وضمان مشروعية التدخل في الفضاء العام، وهو ما استُخدم لتبرير قرار منع ولوج الألتراس إلى الملاعب بذريعة العنف، الشغب[38]. في المقابل، تقاوم هذه المجموعات هذا الخطاب من خلال ما يسميه فيركلاف بـ"التحليلات المضادة"، أي فضح تناقضات خطاب السلطة ووضعه في مأزق ذاتي .ويتجلى ذلك في مقطع من أغنية" في بلادي ظلموني" :*"بالشغب شحال تهمتو، نسيتو شحال صفقتو، بشهور الحبس جازيتو"*، حيث تُذكر المجموعة السلطة بإعجابها السابق بعروض الألتراس، لكنها تُتهم لاحقًا بالشغب وتُعاقب عليه[39].

يتّسم خطاب المجموعات، من جهة أخرى، بقدرته على إنتاج تعبيرات مباشرة وجريئة تخلو من التلطّف، كما تشير بعض الدراسات[40]، من خلال عبارات مثل "سيتستيم بوري وفيه الفيس، المسؤول أكبر إبليس" أغنية "Système Pourri" لمجموعة حلالة بويز. كما يُلاحظ استخدام الألتراس لمفردات ذات طابع سياسي وأيديولوجي واضح، مثل" :قانون"،" حرية"،" شغب"،" قمع"،" صوت الشعب"، وغيرها، ما يضع خطابهم داخل حقل النزاع الرمزي حول الشرعية والسلطة، وتعد هذه اللغة تعبيرًا عن نزعة للمنازعة الرمزية لمشروعية الدولة، وهو ما يطبع معظم الأهازيج المنتجة بعد 2016، فإنتاج هذا الخطاب، وفقا لتحليل فيركلاف، ممارسة خطابية واجتماعية في آن واحد، لا تنحصر في البنية اللغوية، بل ترتبط بالسياق التاريخي والسياسي الذي يُنتج فيها[41].

إن تحليل هذه الأهازيج يستوجب قراءتها في سياقها السياسي والاجتماعي، حيث فرضت الدولة سياسة المنع والتضييق على أنشطة المجموعات، ورافق ذلك انسداد في الآفاق السياسية والاجتماعية، وتراجع الثقة في مؤسسات الدولة عقب فشلها في الاستجابة للمطالب الاقتصادية والاجتماعية التي عبّرت عنها موجات احتجاج، أبرزها حراك 2011، في المقابل، لجأت الدولة إلى منطق الضبط واستعادة السيطرة على الفضاءات العامة، هذا السياق غذّى شعورًا بالمظلومية والاضطهاد، لا سيما لدى الشباب، وهو ما عبّرت عنه الألتراس من خلال خطاب احتجاجي ينقل الواقع كما هو، ويعيد توزيعه، سواء عبر الفضاء الرقمي أو في مدرجات الملاعب، بعد السماح التدريجي بعودة الجمهور سنة 2018[42].

في ذات السياق، وفر الفضاء الرقمي إمكانيات مرئية واسعة لتقديم هذا الخطاب وترويجه، ما مكّن هذا الخطاب من تجاوز محيطه المحلي، ليحظى بقبول جماهيري واسع، حتى وصفه بعض الباحثين بـ"نشيد الشعوب العربية"، إذ تجاوز المجال الرياضي إلى التداول في السياقات الثقافية والسياسية الأوسع، حيث قامت فئات اجتماعية متعددة استثماره في قضاياها الخاصة، على سبيل المثال لا الحصر استخدمت" تنسيقية الأساتذة الذين فُرض عليهم التعاقد "كلمات أغنية" في بلادي ظلموني "في احتجاجاتها بالرباط مارس2019، كما تم ترديد الأغنية في احتجاجات التلاميذ ضد الساعة الصيفية، وتبنّاها ناشطون في الحراك الجزائري، وناشطات نسويات في احتجاجات لبنان. ما يؤكد أن الأهازيج لم تعد مجرّد تعبيرات منتمية لثقافة فرعية، بل أصبحت خطابات احتجاج تتجاوز الحقل الرياضي لتكتسب شرعية اجتماعية ورمزية متعددة الأوجه[43].

ختاما:

خلصت الورقة إلى الروابط الاجتماعية والثقافية بين بروز الثقافة السياسية الفرعية لمجموعات الألتراس والتحولات السياسية في المغرب بعد وصول الملك محمد السادس إلى الحكم، وما ميّزه من انفتاح ثقافي وسياسي . وإن كان نسبيًا ،، وهو سياق عُرف ببروز تعبيرات ثقافية شبابية أثّرت في أساليب ممارسة الفعل الناشطي في المغرب؛ إذ ظهرت فئة الشباب مشاركة بشكل غير مباشر في العملية السياسية، بطرق مغايرة عمّا هو مألوف في فترات سابقة من التاريخ السياسي للمغرب. وقد أصبحت هذه الفئة محورا في عمليات التغيير السياسي خلال فترة ما بعد 2011، خلافًا لما هو سائد علميًا أو عمليًا من خلاصات تصف هذه الفئة باللامبالاة تجاه العملية السياسية أو بالعزوف عن المشاركة في السياسة الرسمية.

إن الخطاب ذي السمات الاحتجاجية في الملاعب الرياضية عبر مجموعات الألتراس يُعدّ لحظة انفعالية في سياق التحول الذي يعرفه المجتمع، لا سيما في ظل تحول الفعل الاحتجاجي منذ 2011. وقد عبّرنا عن ذلك من خلال تتبع خطاب هذه المجموعات. ومن جهة ثانية، وقفت الورقة على تأثير مجموعات الألتراس بثقافتها وطقوسها في مسارات الحركات الاحتجاجية وفي عصرنة أدواتها خلال السنوات الأخيرة، حيث اتجهت في تعاملها مع السلطة إلى استلهام طقوس وشعارات هذه المجموعات في قضايا خاصة بعيدة عن منطق الرياضة، وهو ما أُشير إليه من خلال عرض تجارب تمتد من احتجاجات الأساتذة المتعاقدين، إلى حراك الجزائر، إلى احتجاجات الحركة النسوية في لبنان.

الهوامش:

[1]Patrick Mignon, Les supporters de football en France: la loi du stade (Paris : INSEP Publications, 2001), p.117.

[2]يوسف دعي، (2024). ثقافة الأندرغراوند: فضاءات للمقاومة الخفية في المغرب: دراسة حالة موسيقى الراب. في فريق البحث في الدراسات القانونية والاجتماعية والاستراتيجية (مجموعة من الاساتذة)، القانون والديمقراطية والمشاركة السياسية – مقاربات متعددة–). كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية – أيت ملول. ص 311.

[3]عبد الرحمان رشيق، **الحركات الاحتجاجية في المغرب: من التمرد إلى التظاهر**، ترجمة الحسين سحبان، (الرباط: منشورات منتدى بدائل المغرب، يناير/كانون الثاني، 2014)، ص 34.

[4] من بين أهم الدراسات المنشورة التي ناقشت الموضوع:

Doidge. Mark, Radosław Kossakowski & Svenja Mintert, Ultras: The passion and performance of contemporary football fandom, (Manchester University Press 2020)

Armstrong. Gary & Testa. Alberto, Football, Fascism and Fandom: The Ultras of Italian Football (Paperback November 15, 2010),

- Gibril. Suzan, Contentious Politics and Bottom-Up Mobilization in Revolutionary Egypt: The Case of Egyptian Football Supporters in Cairo, Dans Contentious Politics in the Middle East, (New York: Palgrave Macmillan, 2015)
- Irak. Dağhan, "Supportérisme et engagement politique sur les réseaux sociaux : cyber-ethnographie des supporters de football stambouliotes lors du mouvement protestataire de Gezi". PhD, Université de Strasbourg, 2017.

[5] يوسف دعي، السياسة والرياضة في المغرب، بين الضبط والمقاومة: كرة القدم نموذجا، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1 مارس 2025) ص 169.

[6] مرجع سابق نفسه، ص 197.

[7] Jacques Defrance, La politique de l'apolitisme. Sur l'autonomisation du champ sportif, (Politix, Revue des sciences sociales du politique, 2000) p 13.

[8]نورمان فيركلاف، **اللغة والسلطة**، ترجمة محمد عناني، (القاهرة: المركز القومي للترجمة ط1 2016) ص 35

[9] نورمان فيركلاف من مواليد سنة 1941 هو أستاذ جامعي بريطاني تخصص اللسانيات في قسم اللغويات بجامعة لانكستر. وهو أحد مؤسسي تحليل الخطاب النقدي كما هو مطبق في علم اللغة الاجتماعي.

[10] Sébastien Louis," Ultras et politique, le stade comme une nouvelle Agora ?" Forum, Accessed 24/07/2025, https://2u.pw/OQnwBiV8.

[11] معجم لاروس الفرنسي، شوهد في 2025/07/26 على الرابط التالي: https://2u.pw/Y5tyJmzH

[12] Testa, A. "The ultras: An emerging social movement?" Review of European Studies, vol.1 no.2 (December 2009), p.24

[13] GeKo, "Quand le stade déborde sur le mouvement social, Une histoire politique des supporters", Revue du Crieur (2019) no.1, Accessed, 28/07/2025. URL : https://2u.pw/kjHbAggG

[14] Jean-Paul Callède, "Sport, fête et société". (MSHA), OpenEdition Books, Accessed, 25/07/2025, https://2u.pw/TdgSbaAe

[15] Gary Armstrong & Alberto Testa, Football, Fascism and Fandom: The Ultras of Italian Football (Paperback November 15, 2010), p.34.

[16] دعي، **الرياضة والسياسة في المغرب**، مرجع سايق، ص 25.

[17] Patrick Mignon, "Supporters ultras et hooligans dans les stades de football", Communications : le spectacle du sport année 1998 Accessed 28/07/2025. URL : https://2u.pw/sBkOLdV8

[18] دعي، **الرياضة والسياسة**، مرجع سابق، ص 175.

[19] نفسه، ص 173.

[20] Gambetta, Diego. The Sicilian Mafia: The Business of Private Protection. Cambridge: Harvard University Press, 1996. P.111.

[21] يوشعيب فهمي، **ظاهرة الالتراس بالمغرب: مقاربة قانونية إجتماعية**، (الرباط: المطبعة الأمنية، ط1، 2016)، ص 22

[22] معجم لاروس الفرنسي، شوهد في 2025/07/28 على الرابط التالي: https://2u.pw/Y5tyJmzH

[23] Mark Doidge, Radosław Kossakowski & Svenja Mintert, Ultras: The passion and performance of contemporary football fandom, (Manchester University Press 2020) p.28.

[25] Istituto della Enciclopedia Italiana Treccani, entry "Tifo", accessed at: https://www.treccani.it, last accessed on July 29, 2025.

[26] قيس تريعة، "مجموعات الألتراس في تونس: تقاطعات الرياضة والسياسة والدين". **عمران**، مج 11، العدد 42 (خريف 2022) ص53.

[27] Colin Groundwater, "A Brief History of ACAB", GQ-Magazine, Accessed 25/11/2024, https://2u.pw/1OE7wqsY.

[28] يوسف دعي، **الرياضة والسياسة في المغرب**، مرجع سابق، ص. 184.

[29] حسن بورحيم **الالتراس في المغرب**، (فاس: مطبعة وراقة بلال ط 1 2019) ص34

[30]حسن بورحيم، مرجع سابق نفسه ص34

[31] Suzan Gibril, Contentious Politics and Bottom-Up Mobilization in Revolutionary Egypt: The Case of Egyptian Football Supporters in Cairo, Dans Contentious Politics in the Middle East, (New York: Palgrave Macmillan, 2015), p. 305.

[32]كانت هناك حالات متفرقة من التنديد بالاوضاع السياسية للبلاد، والمشاركة في الحراك من بعض هذه المجموعات لكن من داخل المدرجات، مثال أغنية ليام ا ليام Ultras black Army، وهي من الأغاني الثورية الأولى لمجموعات الالتراس في المغرب، وقد جاءت مقتبسة من كلمات أغنية مغني الراب المغربي مغني 20 فبراير معاد الحاقد ' إذا الشعب يوما أراد الحياة أنوض ادوي على راسو".

[33]دعي، مرجع سابق، ص 264,

[34] نفسه، ص 264,

[35] محمد الحذيفي عز الدين الفراغ، "الالتراس بوصفها حركة إجتماعية شبابية: تحليل نقدي لخطاب التراس كرة القدم المغربية"، الرياضة والمجتمع، **مجلة عمران**، مج11 العدد 42 (خريف 2022) ص 104

[36] فيركلاف، **اللغة والسلطة**، مرجع سابق، ص 43.

[37] امحمد مرهون، علي عباسي، اللغة كظاهرة إجتماعية، رؤية سوسيولوجية من منظور كل من فيرنالد دوسويسر، ميشيل فوكو، **Scrib** ، شوهد، 2025/07/30، https://2u.pw/hMLgHy8d.

[38] دعي، **الرياضة والسياسة في المغرب**، مرجع سابق، ص286.

[39] مرجع سابق نفسه، ص 287.

[40]محمد الحذيفي، عيز الدين الفراع، مرجع سابق ص 113.

[41]نورمان فاركلوف، **تحليل الخطاب، التحليل النصي في البحث الإجتماعي**، مرجع سابق ص 56.

[42] دعي، مرجع سابق، ص291.

[43] نفسه، ص 292.